العرب والترك (*)

٤

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قد انشق ليل الاستبداد عن صبح الدستور والعثمانيون الذين في بلادهم نيام يغطون : بعضهم يرى احلاما مخيفة ، وبعضهم يرى احلاماً سخيفة ، والذين في بلاد الحرية قيام يرقبون : بعضهم يتعلل بالآمال القوية ، وبعضهم يلهو بالاماني الضعيفة ، فاستيقظ بصوت مؤذنه الميمون ، وحمد غب سُراهم المجدُّون ، وعاود الرجاء نفوس اليائسين ، وغادر العداء قلوب المتدابرين ، واقبل المسلم بوجهه على النصراني ، والتركي على الارمني ، وعانق الشيوخ القسوس ، وصافحت الشعوب الشعوب ، واذّن مؤذن بينهم (عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام)

هكذا كان العثمانيون في نشوة من السرور العام ، الذي كاد يكون من اضغاث الاحلام ، أو من خوارق العادات ، بعد انقضاء زمن المعجزات ، لتأليف الدستور بين الشعوب الكثيرة المختلفة في الاديان والمذاهب والمشارب والعادات واللغات والطباع والتربية والتعليم ، وهي ضروب من الاختلاف لم تعهد في أمة ولا مملكة ، وبعضها كاف لاستمرار الاختلاف والافتراق ، ومنع الاتحاد والاتفاق ، وانهم لكذلك واذا بنبأة من بعض الترك بمصر ، ونبأت من كتابهم بالاستانة ، قد اجفلت الوادعين الساكنين ، وروّعت الآمنين المستبشرين ،

كتب أحد شبان الترك المقيمين في القطر المصري مقالات في جريدة الاهرام

(*) تابع لما نشر في ص ٨١٨ ج ١١ ، من هذا المجلد

يفاخر فيها العرب بقومه وجنسه معبرا عنهم بالملة المالكة، متبجحا بزعمه انهم هم وحدهم الذين أزالوا الحكومة الاستبدادية، وأدالوا منها الدستور والحرية، وانهم هم وحدهم الذين لهم الحق بالتمتع بثمرات الدستور الكاملة، وليس للعرب ولا لغيرهم من الاجناس ان يطمعوا في مساواتهم في مناصب الدولة وأعمالها لأن ولاياتهم مستعمرات أو مستملكات للترك ! فيجب ان يكون قصارى حظ العرب من الدستور ان يستريحوا من اعباء الظلم ويتذوقوا طعم العدل فيكونوا من الترك كأهل الجزائر من فرنسا أو أهل الهند من انكلترا !!

هذه المعاني العالية كانت تصبح مسامع العرب أحيانا في عصر الاستبداد، وقلما كانت تكتب ولا سيما في مثل مصر التي هي أرقى من جميع الولايات التركية علما وعملا وثروة وحرية، وفيها الاقلام المرهفة، والالسنة الذلقة، والقلوب الجريئة، نعم كانت كتبت منذ بضع سنين في جريدة «ترك» التي كانت تصدر في القاهرة محررة بأقلام نفر من أذكياء الترك كعلي كمال بك وجلال الدين بك عارف. أسرفت تلك الجريدة في الفخر بجنس الترك معبرة عنهم بالملة المالكة وحقرت العرب في سياق الكلام عن مراكش ونصبت الميزان للترجيح بين الترك والعرب والخلافة العربية فجعلت العرب كلهم بمنزلة قبائل المغرب الاقصى وفاخرتهم بالترك في مدارسهم ودواوينهم وقصورهم وجيوشهم وملأت مواضعها بالفخر والتبجح ناسية ما يكتب فيها وفي غيرها من الجرائد العثمانية في البلاد الحرة في وصف مظالم خليفتهم عبد الحميد خان وافساده للمملكة وتخريبه للولايات التركية والعربية والكردية والالبانية والرومية ومنعه للعلم وعيشه حتى في الجيش وفرار كتاب جريدة «ترك» وغيرهم من ظلمه الى مصر العربية. ولا أقول ان كاتب تلك التبجحات الفئة الباردة نسي عدل الخلفاء الراشدين وعلوم العباسيين في الشرق والامويين في الغرب بل أقول انه عمي عن البلاد التي اوى اليها والمدينة التي يطبع جريدته فيها وهو يرى العرب فيها أرقى من قومه علما وثروة ومدنية. ولكنني ذكرت تلك الجريدة يومئذ بخطأها في تحريك العصبية الجنسية التي أماتها الاسلام وبوجوب اتحاد العرب والترك وضرر تفرقهم باختلاف الجنس. وبأن العرب اذا فاخروا أي جنس بجنسهم فانهم يفخرونه ويبذونه:

هم الأولى ان فاخروا قال العلا　　بفي امرىء فاخركم عفر الثرى
هم الاولى جوهرهم اذا اعتزوا　　من جوهر منه النبي المصطفى

وانما كتبت ذلك الرد في المنار على جريدة ترك لئلا يفوتها السكوت عنها بالتمادي في ذلك التبجح الذي يولد الاضغان ويورث الاحقاد ويفر المصريين وغيرهم من الدولة العلية ، ويفتح في المسلمين باب الشقاق باختلاف الجنسية ، ولكن كتاب تلك الجريدة صاحوا بعد ردي صيحة أخرى ثم خفت صوتهم لانني لم أشأ أن تستمر المناظرة في ذلك . ثم قام أحدهم جلال الدين بك عارف يوم احتفالنا باعلان الدستور خطيبا فقال : اننا اليوم قد تنازلنا عن كلمة « ترك » وهي محبوبة لنا فكلنا عثمانيون لافرق عندنا بين الترك والعرب والروم والارمن وغيرهم ، فصفقت الجماهير المختلفة لقوله هذا تصفيقا وكذلك قال غيره من سائر الخطباء العثمانيين ونادى لسان الحال والمقال الدستور يجبُّ ماقبله كما ورد في الحديث الشريف « الاسلام يجبُّ ماقبله »

فلما انبرى ذلك الكاتب التركي بعد ذلك لكتابة ماذكرنا تذكر الناس ماكان كتب من قبل وما كان يقال ، وأقبل العثمانيون بعضهم على بعض يتساءلون : قال أكثر من واحد منهم ان القوم لايتركون مايألفون وانهم سيستبدون مجتمعين كما استبد آحادهم (كعبد الحميد) منفردين ، وربما كان استبداد الجماعة أشد وأبقى من استبداد الواحد . وقال الاكثرون : إنْ هذا إلا شاب مغرور لايزال جذعا في السياسة وان القرّح والبزّل من ساسة الترك المحنكين لايقولون بقوله ، ولا يدينون برأيه ، ولكن لم يلبثوا ان سمعوا تلك النبآت الاخرى من جرائد العاصمة (الآستانة) ورأوا اعمالا من الحكومة الجديدة استدلوا بها على التحامل على العرب وهضم حق العربية ففترت القلوب وساءت الظنون

قامت بعض جرائد الآستانة تضرب على نغمة التغاير بين الترك والعرب وتلفظ بتلك الكلمات المنفرة « ملة مالكة ، مستملكات ، استقلال العرب ، الخلافة العربية ، بغض العرب للترك ، فضل الترك على العرب ، عجز العرب عن تدوين لغتهم ، ونشر الاسلام خارج جزيرتهم » الى غير ذلك من الكلم الدال على الجهل بالتاريخ أو تعمد العبث به فيما يضر ولا ينفع . وكان من أشهر هذه المباحث التي حركت التغاير ،

واحدثت التنافر، ما نشر في جريدة (اقدام) من اقتراح تنقية اللغة التركية من الالفاظ العربية، وما أودعه بعض الكتاب في مقالات نشرت فيها عن السنوسية، ومنها طعن بعض الجرائد في المصريين وفي الدمشقيين خاصة، وأهل هذين المصرين هم اعظم العرب حضارة وأوسعهم مدنية وفيهما السراة والاباة والعلماء والكتاب

رب قول يصدر عن حسن نية ويكون جديرا بأن يحترم وان كان خطأ يحدث من الاثر السيء مالم يكن يراد به، ويتفاقم ذلك بمقتضى الحال وطبيعة الزمان، وطريقة الاداء والتعبير، وكذلك كان حظ اقتراح صاحب (اقدام) بدعواه في تنقية التركية من الالفاظ العربية — يقول هو ان هذا بحث في محض وان الغرض منه الاستغناء عن الالفاظ العربية التي يوجد في التركية ما يقوم مقامها، ولكن لماذا طلب هذا المصلح اللغوي تطهير لغته من العربية دون الفارسية والفرنسية؟ وقول ان هذه فلسفة مبتسرة كان يجب عدم الخوض فيها الآن وان الكلام عندما ينقل من لغة الى أخرى ويتحدث به الخاص والعام يعرض له التحريف والتبديل ويفسر بحسب الحال الغالبة فقد شاع في بلاد سورية ومصر وغيرهما من البلاد أن بعض كتاب الترك يدعون قومهم الى الابتعاد عن العرب حتى في ترك الالفاظ العربية المستعملة في لغتهم وانهم يعبرون عن ذلك بلفظ التطهير كأنهم يرون اللغة العربية نجسة قد تدنست بها التركية !! وانتقل بعض الناس من الملزوم الى اللازم فقالوا إن هذا الكلام يعد طعنا في كتاب الله عز وجل وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وان هذه الدعوى قد تكون مقدمة لدعوة أخرى تترتب عليها اذا أجيبت وعمل بها وهي الدعوة الى الارتداد عن دين الاسلام لأن أصله وأساسه من الكتاب العزيز والسنة السنية، وانما هما باللغة العربية، والرسول الذي جاء به عربي (صلى الله عليه وسلم)

الى هذا الحد البعيد وصل سوء تأثير ذلك الاقتراح الفني لنشره في هذا الوقت الخفيف (أو النازك كما تقول الترك) الذي يجرحه مر النسيم ، ويدميه لمس الحرير ، وقد ردت بعض الجرائد العربية على هذا الرأي فعرفه الناس وعدوه ذنبا للترك ولم يعلم السواد الاعظم منهم ان من كتاب الترك انفسهم من رد على مقترحه بأوسع مما رد به كتاب العرب

وقد سمم أيضا من جريدة طنين كلام في غمص العرب لم يكن كطنين الذباب

فيناسب اسم الجريدة بل كان كدوي المدافع وقصف الرعود لاشتهار هذه الجريدة بأنها لسان جمعية الاتحاد والترقي ومظهر سياستها ومكان الجمعية من سياسة الدولة معروف ولاسيما في اوائل العهد بالانقلاب — فهذا من الاسباب القولية في سوء التفاهم والتنافر بين الترك والعرب الذي نجم قرنه بعد الدستور فزلزل الآمال الجميلة وأساء تعبير الاحلام اللذيذة ، وقد سمع شيء منها من بعض رجال الحكومة الدستورية كطعن سليمان بك نظيف والي البصرة في الحزب الوطني المصري وهو في مصر اثناء مروره بها في سفره الى البصرة وقد اشتهر هذا لرد جريدة اللواء عليه ولكنه قال قولا آخر شرًا منه وأسوأ تأويلا : قال في سياق الكلام على الفتن التي تحدث في جزيرة العرب ما مآله : ان الدولة مستعدة لسحق أولئك العرب بالقوة القاهرة فان عندها سبعة فيالق من الابطال !!! فهل يصح أن يقال مثل هذا القول بمصر أو بغير مصر ؟ وهل تدرب الدولة الجند من ابناء الامة لاجل سحقها وتدميرها !؟ أم لاجل حمايتها وتعزيزها ؟ أما كان ينبغي له أن يقول ان أولئك العربان وغيرهم كانوا مرهقين بالظلم وسوء الادارة وسنريهم العدل والنظام فنجعلهم بذلك يتفانون في حب الدولة وطاعة الحكومة ؟؟

ومن أسباب سوء التفاهم ان كثيرًا من احرار العرب الذين جاهدوا في سبيل الدستور حق الجهاد (ومنهم من هو معروف الاسم أو الشخص عند اكثر احرار الترك) وكثيرا من الفضلاء والكتاب الذين أظهروا الاحتفال بالدستور بخطبهم ومقالاتهم جاؤا الاستانة زائرين ومختبرين ، واكثرهم كانوا ممنوعين منها ومحرومين فلم يعبأ بهم احرار الترك ولا رأوا منهم عواطف الاخاء كما رأى الارمن مثلا!

وأما الاسباب المتعلقة بحكومة العاصمة فمنها اسرافها في عزل ابناء العرب من وظائفهم حتى انها عزلت في وقت قصير زهاء بضعة عشر متصرفا منهم ، ومنها بخلها بالوظائف على طلابها منهم وجودها بها على غيرهم من العناصر الاخرى ، ومنها تعجلها بأمور تشعر بتعمد اضعاف اللغة العربية كجعل المرافعات في محاكم الولايات العربية باللغة التركية مع علمها بأن الناس يجهلونها في الغالب حتى وكلاء الدعاوي (المحامين) — وكجعل الكشوف (البيانامه) التي يقدمها التجار من ابناء العرب

في بلادهم الى ادارة المكس (الجمرك) باللغة التركية أو الفرنسية مع تعسر ذلك أو تعذره عليهم واقتضائه نفقات كانوا في غنى عن بذلها — وكعدم قبول عرائض الشكوى بالعربية حتى في مجلس الامة مع ان المشتكين من الامة وهي ذات لغات متعددة للعربية منها مكانة خاصة من حيث هي لغة الدين الرسمي الذي يكفله مقام الخلافة كما سنبين ذلك بعد

ومنها ما يتعلق بنظارة المعارف خاصة كالغاء الدروس العربية من المكتب الملكي في العام الماضي (ولكنهم أعادوها في هذا العام) وكجعل العربية في المدارس الاعدادية اختيارية كاللغة الارمنية واللغة الرومية وعدد دروسها كعدد دروسهما مع كون العربية اصلا من اصول اللغة الرسمية يحتاج اليها في اتقانها اكثر مما يحتاج الى اللغة اللاتينية لاتقان الفرنسية ، وكونها ينطق بها اكثر العناصر العثمانية عددا وأقلهم لها معرفة ، وكونها لغة الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للدولة — وكارسال النظارة خمسة وسبعين تلميذا من مكاتبها الى أوربا لتحصيل العلوم العالية ليس فيهم غير اثنين من ابناء العرب — وكارسالها معلمين من الترك الى مدارس البلاد العربية لأجل تعليم العربية نفسها وهم يجهلونها — وكتعصب بعض المعلمين في المكاتب العالية على ابناء العرب واسماعهم ما يجرح عواطفهم حتى في الدروس

ومنها ما يتعلق بنظارة الحربية كاستحضارها الضباط ولا سيما اركان الحرب منهم من الولايات العربية الى سلانيك والآستانة ثم تفريقهم في البلاد التركية — وكاخراجها بعض التلاميذ العرب من المكتب الحربي حتى بصورة ادارية كما أشيع في مصر وغيرها . ولعل الشبهة او الشبه المتعلقة بنظارة الحربية اضعف من الشبه المتعلقة بغيرها ولا أرى شيطان التفريق بين العنصرين يقبل وسواسه فيها فالحربية في دولتنا هي أرقى ما فيها فنسأل الله تعالى لها ولسائر النظارات اكمل التوفيق وأتم النظام

ومنها ما يتعلق بمجلس الاعيان فقد كان ينتظر أن يكون فيه اعضاء من العرب ولو بعدد ولايا تهم ان لم نقل بحسب عدد نفوسهم ولكن ذلك لم يكن

ومنها ما يتعلق بمجلس المبعوثين وهو المظهر الاكمل للمساواة والاخاء ولكن

اخباره في السنة الماضية لم تكن تدل على ما نحب من توثيق الرابطة بين العرب والترك كسائر العناصر بل وجد العرب امورًا منتقدة ، ووجوها متجهمة ، وسمعوا من بعض اخوانهم كلامًا لا نحب أن يكتب و يطبع ونرجو أن يكون هذ العام خيرا من سابقه وأن يكون مجلسنا وسائر امورنا العامة في ارتقاء دائم بالاخاء الصحيح والمساواة مع الاخلاص بسعي الفضلاء محبي الوفاق من العنصرين وسائر العناصر

تلك كليات من اسباب ما سميناه سوء التفاهم بين الترك والعرب وفي ضمن تلك الكليات جزئيات كثيرة

لا أقول ان كل ماروي من ذلك صحيح المتن والسند ، ولا أقول ان ماصح منها كان بسوء النية وتعمد هضم حقوق العرب ، ولكنني لا أستطيع أن أنكر قول من يقول انها في مجموعها تفيد التواتر المعنوي الدال على انه يوجد في رجال الدولة ورجال الصحافة التركية أناس يسيئون الظن بالعرب ولا يعطونهم حقوقهم ولا يعرفون قيمة اتحادهم بالترك واتحاد الترك بهم ، وانه تتوقف عليه حياة الدولة العثمانية و بقاؤها وان هذا الاتحاد تقتضيه طبيعة العنصرين الاجتماعية وان دار الخلافة والسلطنة هي الآلة التي يكون بها التركيب والتحليل ، وان الكماويين الاجتماعيين الذين يحركون هذه الآلة هم رجال الحكومة ورجال الصحافة ، وانه يجب في هذا الدور — دور الانقلاب والتحول من الاستبداد الى الدستور — أن يؤخذ على أيدي المحللين بسوء القصد أو بسوء الفهم حتى لا ينقل عن العاصمة الا ما يدل على ارادة المزج والتركيب والاعتصام والتأليف . ولكن وجود هؤلاء الجاهلين بهذه الحقائق والمسيئين الى العرب بأقوالهم وأفعالهم لا ينافي كون العنصر التركي أخا للعنصر العربي ومحبا له كما يجب هو ، ولذلك قلنا فيما سبق من نُبذ مقالنا هذا ان التغاير والتنافر محصور بين المتزاحمين على اعمال الدولة ومناصبها و بين رجال الصحافة وحملة الاقلام وسأبين طريقة تداركه مع حفظ حرية الصحافة وتنفيذ قوانين الحكومة ولو بترجيح الترك في المناصب ترجيحا مقرونا بالحكمة والذوق

ان ما أشرت اليه من اسباب سوء التفاهم قد سرى في اكثر البلاد العربية ولا سيما أرقاها وهي المصرية والسورية بسرعة الكهرباء وكثر حديث الناس فيه

وخاضت فيه الجرائد ولها العذر وثارت فيه اقلام الكتاب والشعراء فيجب تداوله قبل أن يعم نشره فيصل الى سائر البلاد والبوادي وقبل أن تضعف حجة امثالنا من محبي الوفاق والساعين في الاتحاد الذين اجتهدوا ولا يزالون يجتهدون في الاعتذار عن الحكومة ، وما كل عذر يقبل ولا سبيل الى ايصال الاعذار الى الملايين

اذا قلنا ان الحكومة عزلت الجم الغفير من عمالها العرب لأنها تظن انهم من صنائع أبي الهدى وعزت العابد يقال لنا ولماذا لم تعزل جميع رجال العهد السابق وهم صنائع عبد الحميد وبقية رجاله من الترك وقد ثبت بالعيان والبرهان انهم خربوا المملكة لان العمل كان في أيديهم !؟ وكم سألنا وسأل غيرنا من الناس : ماذا ثبت على أبي الهدى وعزت العابد من الخيانات والاعمال المخربة للدولة ؟ أما أنا فلا أعرف لهما ذنبا خاصا وراء ثقة عبد الحميد بهما وما نالا بها من مال وجاه الا أن الاول آذاني وآذى اهل بيتي بسعيه او سعايته والثاني اذا كان لم يوافق على ذلك فانه لم يعارض فيه ، فانا على عدم حمدي لاحد منهما وعدم دفاعي عنهما لا أرى من العدل عزل كل من نال عملا في الحكومة بجاههما ، وأعلم ان كثيرا ممن عزل من العرب لم يكن له صلة باحد منهما ، وان بعض المتهمين اليهما لا يزالون في اعمالهم . وانما اعتذر الحكومة بعض العذر بأن اكثارها من عزل العرب وغيرهم كان من بعض الاضطراب الذي جاءت به طبيعة الانقلاب ، وقد آن أن أبين شيئا من ضرر التنافر وطريقة ازالة سوء التفاهم ، وقطع عروق التقاطع والتدابر ، وهو موضوع النبذتين التاليتين

٥

ما كاد ليل الاستبداد ينجلي بصبح الدستور ، وتنقضي أيام الاحتفال بعيده في فرح وسرور ، الا وبادر كاتب هذا المقال الى زيارة القطر السوري زائرا ومختبرا للبلاد التي نشأ فيها وحجبه الظلم الحميدي عنها احدى عشرة سنة ، فطفت المعاهد ، وبلوت الافكار والسرائر ، فما رأيت فيها ورأيت للنزعة الجنسية العربية حركة ، ولا سمعت فيما سمعت لها دعوة ، اللهم الا نتفا لداعية الجمعية العربية العثمانية ، منعكسا عن الآستانة العلية ، لم يفهم منه معنى التفرقة ، ولم تشتد من الجمهور فيه الرغبة ، وكنت

مع هذا انفر الناس عن هذه الجمعية، وأتشاءم من تسميتها بالعربية ، لئلا يفهم منها إخواننا الترك معنى العصبية الجنسية . بل أقول طالبا السماح والعفو من مؤسسيها أنني لم أكن أحسن الظن فيهم، ولا أبرئهم من الاغراض الشخصية ـ دون الجنسية ـ في عملهم ،

وكنت أقول في خطبي ودروسي في البلاد انه يجب على كل بلد أو ولاية عثمانية أن تُعنى بترقية نفسها بالعلم والثروة ، لتكون عضوا قويا عاملا في بنية الامة ، ومددا عظيما لتعزيز الدولة ، لا لأجل انفراد أهلها بنفسهم ، أو اعتصامهم بأبناء جنسهم ، (اي الجنسية اللغوية لا السياسية) فان الامم المستقلة في أحكامها المختلفة في لغاتها ومذاهبها ومواقعها ، يتحد بعضها ببعض ليقوى الجميع بالمحالفة ، فكيف تضعف الشعوب العثمانية نفسها وهي أمة واحدة ـ بالتفرق والمخالفة ، ؟ ثم ان على العرب ان يحبوا لغتهم ، وان يطالبوا الدولة بمساعدتهم ، لان لغتهم في الدرجة العليا من الارتقاء ، ولها في العلوم والآداب أفضل تُراث ، وهي لغة الاسلام ، التي يتدارسها المسلمون من جميع الشعوب والاقوام ، فهي رابطة الاخاء والمودة المعنوية ، بين الملايين المذعنين للديانة والخلافة الاسلامية ، فترقية هذه اللغة خدمة للدولة العلية وترقية لها ـ فكنت أرى الجماهير يتقبلون كلامي بقبول حسن وما كنت أرى أحدا يعارضني بتوهم الفصل بين الترك والعرب ،

هذا ما كانت عليه البلاد في العام الماضي وكانت قد نجمت قرون الخلاف ولكن لم يشعر بها الجمهور فلما كثرت وكبرت كما بينا في النبذة الرابعة تنكّر الناس في سورية ومصر وخاضت في المسألة الجرائد العربية حتى في أمريكا وتبارت فيها قرائح الشعراء وتجاوبت فيها الاصوات ، حتى عمت البلاد والجهات ، فاهتزت بذلك النعرة العربية اهتزازا شديدا ، وصبغها بعضهم بصبغة الدين فكان تأثيرها عظيما ، ومن المعاني التي نظمها الشعراء وخطب بها الخطباء ونشرت في الجرائد المصرية : ان الترك جاروا على لغة القرآن وعدوها من النجاسات ! ! فانفطرت القلوب ، وفاضت العيون ، وضج البيت والحرم ، وكاد الركن يتحطم ، وشكا القبر المعظم ، وغضب الرب عز وجل ، ...

فهل تظن حكومتنا العليا ، وأصحاب الجرائد التركية في عاصمتنا ، ان هذه الغارة الشعواء هين أمرها ، خفيف وزرها ، مأمونة عواقبها ، اذا ألقي حبلها على غاربها ؟؟ كلا ان من عرف حقيقتها ، وتفكر في عواقبها ، يعلم ان الامر إدّ ، والخطب جدّ ، وانه يجب اخذه برُبّانه ، وتداركه في إبّانه ، قبل ان يستقر في نفوس العامة ، وتقتنع به الحاضرة والبادية

ان لهذا الهاجز على ضعفه صوتا مسموعا في البلاد العربية ، وفي غيرها من البلاد الاسلامية ، وقد دافع بقدر طاقته ، عن الدستور والقائمين به ، حتى أزال كثيرا من شبهات المشتبهين ، ومكّن الثقة في نفوس الجماهير من المتزلزلين ، وهو على ذلك وعلى حرصه على الاتحاد والاعتصام بين جميع العناصر العثمانية لم يستطع ان يقف في مجرى التيار الذي حركته تلك الاقوال والافعال التي أشرنا اليها في نفوس العرب كما وقف في مجرى التيار الذي حركه خلع عبد الحميد في بلاد الهند وفي غيرها من البلاد ، بل رأيت ان هذا التيار قد تدفق من (الدردنيل) فلا بد من السعي الى قطعه من هنالك ؛ فكان أحد باعثين بعثاني على ترك عملي بمصر في مثل هذا الوقت ، وتيممي عاصمة الملك كما سبق القول ، (وأما الباعث الآخر فسأبينه في مقال آخر انشره في بعض الصحف التركية ان شاء الله تعالى)

أحمد الله ان كانت هذه الحركة محصورة في دائرة الغيرة على اللغة العربية والمزاحمة في الوظائف والمناصب ، وصفوف المدارس والمكاتب ، وأنها لم تتعد الى مقام الخلافة ، ولا الى اساس الحكم والسلطة ، ولم يجر على لسان منتقد ولا خطيب ولا من قلم كاتب ولا شاعر دعوة الى الانفصال من الترك ، أو الاستقلال في الحكم ، ولهذا كان التدارك سهلا ، وحسن التفاهم ميسورا ،

ما رأيت خطأ بعيدا عن السياسة المثلى خارجا عن قواعد علم الاجتماع ، مثل خطأ رجال السياسة في الآستانة الذين يلغطون في الجرائد بذكر « استقلال العرب والدولة العربية والخلافة العربية » يتهمون العرب بطلب ذلك و يعدونه جهلا منهم لانه محال لتوقفه على المحال وهو اتفاق زعماء جزيرة العرب وشرفائها من جهة وعلى مساعدة أوربا

من جهة أخرى ، وما كان خطأ الحكومة في الاصغاء الى الواشي والتحقيق في مسألة الشام في هذا العام الا كخطإ الجرائد أو أشد

ذلك بأن هذه الاقوال والاعمال هي التي تشغل الافكار بما كانت خالية منه ، ويخشى ان توجه النفوس الى ما كانت غافلة عنه ، وتعدها لما لم تكن مستعدة له ، ألم تر أن علماء التربية يحرمون ذكر الالفاظ التي تدل على الرذائل وتثير كوامن الشهوات لئلا يدعو التفكر فيها الى الاقدام عليها ، حتى ان بعض الاوربيين حذفوا من معاجم اللغة ولا سيما التي يراجع فيها التلاميذ مثل لفظ الخيانة والسرقة كما اجمعوا على حذف ألفاظ الرفث ، وعلى هذه القاعدة جرى عبد الحميد في منع الجرائد من كثير من الالفاظ التي توجه النفوس الى مايراه مخالفا لسياسته ، ولا نجيز للحكومة الدستورية ان تحذو حذوه ولكن يجب عليها أن لاتكون هي المثيرة لتلك الافكار الضارة كما يجب مثل ذلك على الجرائد من غير ان يمنعها منه القانون — فهذا هو مدرك قولي في النبذة الاولى من هذا المقال انني لم أذكر مسألة اقتراح شيخ لحج على امراء العرب في المنار ولا في غيره من الصحف ، لاعتقادي انه لاضرر فيها وإنما الضرر في نشرها ، وخوض العامة بذكرها ، لما سأبينه بعد ، وهذا بيانه :

ان عظمة الدولة العثمانية وعزتها وسائر مايرجى لها في مستقبلها الدستوري يتوقف على العنصر العربي مالايتوقف على عنصر آخر من العناصر التي تطلب اتحادها كلها حتى التركي منها فان البلاد العربية المحضة أوسع من البلاد التركية المحضة مساحة وأغزر ثروة وأحسن موقعا وأشرف بقعة من حيث هي مهبط الوحي ومثابة الامم الاسلامية والنصرانية تهوي الى زيارتها من كل فج عميق . وأهلها أقدر على الزراعة والصناعة والتجارة فمن تجارهم في الصين والهند وجاوة واستراليا وأمريكا من يملكون الملايين . وأما ذكاؤهم واستعدادهم للعلم فهو اشهر من ان يوصف . وأما القوة الحربية فيمكن للدولة ان تجند منهم مليونا أو أكثر من أشجع خلق الله وأصبرهم على القتال ناهيك بفرسان العرب وخيولهم اذا تدربوا على الفنون العسكرية الحديثة ، وهل تكون الدولة بمأمن من مطامع أوربا في العراق اذا أصلحت أرض الجزيرة (بين

النهرين)الا بتجنيد أولئك الاسود الذين يهابهم الموت ولا يهابونه، ولا تحتاج الدولة الى نفقة كبيرة في تجهيزهم عند الحاجة"؟؟

إن قوام الدول وعظمتها في هذا العصر على مقدار ثروتها "وانما ثروتها مستمدة من الامة وان أرجى عناصر الامة العثمانية لثروتها هو العنصر العربي وان مابين النهرين (دجلة والفرات)من بلاده هو أخصب البقاع تربة وأوفرها غلة حتى قال هيرودتس شيخ المؤرخين انها كانت توفي غلاتها مضاعفة من مئة ضعف الى مئتي ضعف ثم كانت بعده هي ينبوع ثروة الدولة العباسية، ولا يكون اشتغالها وحفظها للدولة في هذا العصر الا بالعرب وان شاركهم غيرهم في اصلاحها وثمرتها

مركز الدولة في أوربا محفوف بالمشاكل والقلاقل "مضطرب بالمطامع والفتن" ومركزها في الاناضول عرضة للفتن أيضا فليس في ولاياتها اهدأ من الولايات العربية الحضرية كبيروت وفلسطين والشام وحلب" ولما ما كان يجري في الولايات التي تغلب عليها البداوة كاليمن فسببه سوء الادارة وفساد السياسة التي كانت عليها الدولة الى آخر يوم من أيام الاستبداد ولما تصلح الحكومة الدستورية من ذلك الفساد شيئا بل لم تتق أسباب سوء التفاهم الذي ننشر أسبابه في ظل الحرية بسرعة البرق، فعليها ان تتدبر وتعلم علم اليقين انه لم يجر الى هذا اليوم شيء من السعي ولا من التدبير لانفصال العرب من الترك ولم يمل الى ذلك أحد من المشتغلين بالسياسة العامة من العرب وانه لا يوجد سبب من الاسباب يوجههم الى هذا الا هضم اخوانهم في العاصمة لحقوقهم وأهمها التعالي عليهم بالجنسية التركية، والتقصير في حفظ لغتهم العربية،

***

سوء التفاهم محصور الآن في هذين الامرين : تعالي التركي على العربي بجنسه وإيثار نفسه عليه بأعمال الدولة ومكاتبها، والتقصير في نشر اللغة العربية، فأما الاول فاني أعذر الترك فيه من جهة وأعذل المتعصبين منهم على غيرهم من جهة اخرى : اعذرهم من حيث ان المتعلمين منهم قد جروا على اتخاذ اعمال الحكومة معاشا وموردا للرزق وهم قلما يحسنون عملا آخر كما جروا على حسبان ذلك حقا خالصا لهم من دون سائر العثمانيين الذين اذا نالوا منه شيئا فانما يكون من إيثار الترك لهم

على انفسهم درءا لمفسدة اوجلبا لمصلحة ، فان كان الدستور قد ساوى بينهم وبين سائر العناصر في كل شيء فلا ننسى ان تطبيق الدستور على الامة ، يجب أن تراعى فيه الحكمة ، ومنها أن يكون بالتدريج ولا سيما فيما يتعلق بتغيير العرف والمعاملات المتبعة والعادات المألوفة ومن هذا الباب لوم الحكومة في بعض المعاملات المخالفة للعرف التي يمكن تطبيقها على القانون اذا أسرعت فيها قبل اعداد الامة لها . فاذا نحن طالبنا الحكومة أن تجعل اعمال الحكومة مشتركة بين العناصر العثمانية على نسبة عدد كل عنصر منها نكون قد طلبنا المطفرة في التغيير وقطعنا على متعلمي الترك اوسع ابواب الرزق التي ألفوا الدخول فيها ، وجعلناهم دون سائر الشعوب العثمانية بعد أن كانوا فوقها من هذه الجهة التي هي اشرف الجهات في نظرهم ، فهل من الحكمة أن يكون أول حظهم من الدستور خسران اعظم شيء عندهم ؟ كلا انني أرى جميع عقلاء العرب يفهمون هذا و يقدرونه قدره وإنما ينكره ويتألم منه من هم مثل الترك في قصر همهم على خدمة الحكومة واتخاذ ذلك وسيلة للمعيشة ، وهذه هي الجهة التي اعذل الحكومة على عدم مراعاتها وأطالبها بان تعدل في هؤلاء المتعلمين في سلكها والمرشحين انفسهم لذلك وان لا تشعر احدا منهم بان جنسه علة للتحامل عليه رفقا بهم واقناعا لهم ولغيرهم بانها تنفذ الدستور بالعدل والمساواة بقدر الاستطاعة وتفاديا من سوء التفاهم في هذا الدور الخطر ـ دور التحول والانقلاب

وليعلم الفريقان ان الحكومة الدستورية لا تكون موردا واسعا للرزق ولا ينبغي ان تطلب وظائفها لأجل المعيشة لان المرتبات الكبيرة فيها قليلة جدا ، وما عداها لا يكاد يصل الى درجة الكفاف ولا سيما مع نفقات الاسفار في هذه المملكة البعيدة الارجاء اذا بطلت الرشوة كما هو المنتظر من الاصلاح في عهد الدستور وانما كانت الحكومة بابا من ابواب الثروة ايام كان الحاكم مستبدا نهابا مستفيحا لجميع ما تصل اليه يده من اموال الامة لا يخاف في ذلك درَكا ولا يخشى . وانني لاشفق على اخواننا من الترك وأخشى ان يكونوا في عهد الدستور وراء الروم والارمن المزاحمين لهم في عقر دارهم وفي عاصمة الملك اذا لم ينزعوا من اذهان ناشئتهم فكرة الارتزاق من الحكومة . وقد كان المتعلمون من المصريين على رأي المتعلمين من الترك في ايام

الاستبداد المحض والظلم ، وفي اوائل العهد بالحرية والعدل ، ثم لما عمرت البلاد صرنا نرى بعض عمال الحكومة الذين ياخذون في كل شهر عدة الوف من القروش راتبا معينا لا يتخلف قبضه عن اليوم الاول من الشهر يستقيلون راغبين عن خدمة الحكومة الى الاعمال الحرة التي هي اوفر كسبا واوسع بابا لتحصيل الثروة ، ونرى الذي يتقاضى من الحكومة في كل شهر ثمانية آلاف وعشرة آلاف قرش يمدقعيرا اذا لم يكن له مورد آخر من الزراعة مثلا

واما التقصير في نشر اللغة العربية فلا أرى للحكومة فيه عذرا معقولا فان قيل ان اللغة التركية هي اللغة الرسمية فما عداها من اللغات تجب فيه المساواة فاذا رجحت الحكومة اللغة العربية على غيرها قام سائر العناصر يطالبونها بمساواة لغتهم لها ويمدونها مقصرة معهم غير عادلة فيهم! فالجواب عنه يعلم مما أشرنا الى بعضه قبل من مزايا العربية وخصائصها التي يمكن للحكومة أن تحتج بها على أي عنصر يطلب مساواة لغته بها في المكاتب الرسمية ونزيده ايضاحا بالتفصيل بخمسة أمور :

(١) ان العربية هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهما اصل الدين الاسلامي الذي هو الدين الرسمي للمملكة الذي يجب على خليفة المسلمين أن ينشره ويحميه

(٢) ان السواد الاعظم من اهل المملكة مسلمون يحتاجون الى العربية في فهم دينهم وطاعة ربهم فيما حث عليه من تدبر القرآن وليس لهم جمعيات دينية تنشئ لهم المدارس كالنصارى فالحكومة الوارثة لهم هي المطالبة بتعليمهم

(٣) ان الشريعة الاسلامية هي الينبوع الذي تستمد منه الاحكام التي يحكم بها في الاحوال الشخصية والمدنية وتطبق عليها القوانين ومعظم كتبها التي عليها الاعتماد في ذلك والتي يرجع اليها عند المشكلات هي باللغة العربية فالدولة محتاجة في ذلك الى تعليم هذه اللغة

(٤) ان العنصر العثماني العربي هو اكبر العناصر وابعدها عن معرفة اللغة الرسمية للدولة ولا يتيسر تعميم هذه اللغة فيهم إلا بعد اتساع مالية الدولة بعشرات من السنين . فاذا لم تعلم الحكومة اللغة العربية لمن تعدهم في مكاتبها للوظائف كان

نتيجة ذلك ان اكثر عمال الدولة في اوسع ولاياتها لا يعرفون لغة الاهالي فيتعذر عليهم اقامة العدل والنظام . ولا يقال انهم يستعينون على ذلك بالمترجمين لانهما لا نجد الذين يحسنون الترجمة في كل مكان وان وجدتهم كانت في حاجة الى نفقات كثيرة لهم لا تحتاج الى اكثر منها لتعليم العربية ولا مندوحة عن أحد هذين الامرين الا ابقاء الحكومة كما كانت في شر ايام الاستبداد جمعيات نهب وسلب لا يهمها الا ملء الجيوب» واما الروم والارمن وغيرهما من العناصر فاللغة الرسمية منتشرة بينهم لا تحتاج الحكومة الى المترجمين الا في القليل من بلادهم وما ذلك بالامر الشاق ولا المتوقف على النفقات الكثيرة

(٥) ان اللغة العربية اصل من أصول اللغة التركية الرسمية يقرب أن يكون ثلث مفرداتها أو نصفها مستمدا منها ولا سيما المفردات في علوم الطب والتشريح والنبات والحيوان، فتعليم العربية في مكاتب الدولة يقوي تعليم اللغة الرسمية ويمدها فالتركية أحوج الى العربية من اللغة الفرنسية الى اللغة اللاتينية واننا نرى الافرنج يعلمون اللغة اللاتينية التي لا يوجد عندهم شعب يتكلم بها لانها من اصول لغاتهم فاعراض الترك عن تعليم العربية على كونهم أحوج اليها من هذه الجهة وعلى ما لهم فيها من الفوائد الدينية والمدنية لا يظهر تعليله الا بتعمد اضعاف العربية وهذا شيء لا يرضى به جمهورهم وان نزع اليه بعض المتفرنجين المتعصبين الذين ليس لهم رأي ولا دين

٦

زبدة المقال وخاتمته

(١) إن الجواذب التي تجذب الترك الى العرب والعرب الى الترك وتمزج احدهما بالآخر فيكونان عنصرا واحدا قويا نافعا كالماء والهواء في كونه علة للحياة والبقاء هي قوية جدا لانها جامعة بين الاخوة الدينية والمصالح المدنية والسياسية التي لا قوام للدولة بدونها

(٢) ان الحوادث السابقة واللاحقة أعدت المشتغلين بالسياسة والبحث في

الامور العامة والمتزاحمين في المكاتب والمناصب الى شيء من سوء الفهم والارتياب والظنة قواها في نفوس بعض الترك شبهات أوهمتهم ان العرب يريدون الانفصال من الدولة العثمانية والاستقلال بأنفسهم ، وقواها في نفوس بعض العرب أقوال منكرة قالها وكتبها بعض المشهورين من الترك وأعمال مستنكرة من الحكومة لا يصح ان تعد أصلا راسخا في الدولة لأنها حدثت في عهد الانقلاب والفتن التي اضطرت الدولة الى الاحكام العرفية مع تبدل الوزارات وعدم انتظام الاحزاب في مجلس المبعوثين الذي يرجع اليه الامر كله

(٣) انه يمكن ان تنهض حجة قيمة على التباغض بين الترك والعرب اذا وقع الشقاق بين المبعوثين في مسألة تعليم اللغة العربية أو مسألة المساواة بين العنصرين المحتمة في القانون الاساسي ولكن هذا الشقاق ما وقع ولن يقع ان شاء الله تعالى . وقد حضرت مذاكرة بين فاضلين من المبعوثين أحدهما عربي والآخر تركي فقال هذا انني أحب العرب أكثر من الترك لان الذي يجب الي الترك هو النزعة الجنسية الدنيوية وأما الذي يجب الي العرب فهو ديني الذي عليه مدار سعادتي الأبدية ، أوما هذا مؤداه

(٤) ان الذين قد بدت البغضاء من أفواههم للعرب في معاهد السياسة والحكومة ومكاتب التعليم هم على قلتهم ليسوا من العنصر التركي باليقين وإنما أكثرهم أوشاب وأوزاع من عناصر شتى قد تتركوا وأسلموا من زمن بعيد أو قريب لأجل مناصب الدولة فهم لاحظ لهم من الحياة الا فيها فلا عجب اذا أبغضوا كل من يزاحمهم عليها

(٥) يجب على العقلاء السعي في إزالة سوء التفاهم وسد منافذه مهما كان سببه لئلا يتمكن في نفوس العامة فيتعذر نزعه وتسوء عاقبته .

مابه يكون التأليف بين العنصرين

يجب أن يتعاون على هذا التأليف الذي تتوقف عليه حياة الدولة كل من عقلاء الامة وعقلاء الحكومة ويجب ان تكون العاصمة هي البادئة بذلك صحافتها وحكومتها العليا فأما الصحافة فيجب عليها أن تترك الخوض في مسألة الجنسية النسبية واللغوية ،

الى الجنسية السياسية المعبر عنها بالعثمانية، فتجعل هذه الجنسية جنسية بكرة وعشياً، وتجعل تلك نسياً منسياً، ولا تذكر لفظ الترك والعرب، ولا اسم غيرهما من العناصر الاخر، بكلمة تشعر بالترجيح أو التفضيل، أو عصبية العنصر والقبيل، ولعمري ان أولئك الرجال الذين تبدلوا كلمة العثمانية « بكلمة تركية » فصاروا يقولون ويكتبون « لغة عثمانية ولايات عثمانية »، لهم اعلى في السياسة رأياً، وأصح في علم الاجتماع حكماً من هؤلاء الذين يقرعون الاسماع كل يوم بكلمة « تركلر تركلر » (١) متوهمين انه يمكن تحويل العناصر العثمانية الى التركية، أو انهم يمكن ان يتحدوا بشعوب التتار الروسية وتركستان الصينية، ومن الذين يريدون ازالة الالفاظ العربية، من هذه اللغة الرسمية، قال كمال بك زعيم النهضة الحديثة: اننا اخترنا أحاسن الكلم من أرقى اللغات الشرقية، وهي العربية والفارسية والتركية، فألفنا منها لغتنا العثمانية، فهذه اللغة هي لغة العثمانيين المشتركة، ليس للترك حق الاختصاص بها والاثرة، كما ان العربية هي اللغة الاسلامية المشتركة بين العرب وبين الترك والفرس وأهل الهند والصين والملاو وغيرهم من المسلمين، فنحن العثمانيين لا نسمح لاحد ان يعبث بلغتنا العثمانية، ومن شاء ان يتعلم لغة تركستان فليتعلمها وهي غير لغتنا الرسمية، والأمة كلها تطالب مبعوثيها بصيانتها وحفظها لسهولة نشرها وكون أكثر كتبنا ودفاترنا بها.

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام اتقاء عزو ذنب بعض الافراد الى الشعب أو العنصر على الاطلاق فاذا رأينا بعض الترك أو العرب أو الارمن - مثلاً - يعيب عنصراً آخر أو يدعو الى استقلال قومه فعلى الجرائد أن تنسب الذنب اليه لا الى جميع قومه. وعلى هذه الطريقة جرينا في مقالنا هذا فقد برأنا العنصر التركي الاسلامي من بغض العرب والتحامل عليهم وحصرنا ذلك في فئة من الترك المشتركين في الغالب لا الخلّص

كذلك يجب على الجرائد ان تتحوّل قراءها بالمقالات الداعية الى اتحاد العناصر العثمانية مع بيان فوائدها للجميع. واذا اهتدت جرائد الآستانة الى هذا الصراط

(١) كتب بعضهم في هذه الايام مقالة في جريدة صباح بهذا العنوان يحرك بها النعرة الجنسية

المستقيم تبعتها الجرائد السورية والمصرية وكان تأثير ذلك عظيما واحكم على العكس بحكم الطرده وينبغي لاصحاب الجرائد التركية ان يُعنوا بالاطلاع على الجرائد العربية المنتشرة ويترجموا المهم من مقالاتها في سياسة الدولة العلية وادارتها ويعلقون عليها مايرون فيه المصلحة للتأليف ، وكذلك المهم من أخبارها فمن المار على جرائد العاصمة ان لايذكر فيها شيء عن الولايات العربية ، الا مايكون من ضبابة الشركات البرقية أو الاخبار الرسمية ، وكل من هذا وذاك رموز لا تعرف حقائق الاحوال ، ولا تبنى على مثلها الاحكام ، ولو قامت هذه الجرائد بوظيفتها حق القيام لجعلت لها مراسلين في تلك الولايات فوق تتبع الجرائد العربية وترجمة أخبارها

وأما مايجب على الحكومة فأهونه وأقربه أن تنصف الواقفين على أبوابها من العرب طلاب الوظائف — وقليل ما هم — فتساوي بينهم وبين اخوانهم الكثيرين من الترك وترقي بعضهم من رتبة القائمقام الى رتبة المتصرف ومن هذه الى رتبة الولاية ، وأن تزيد أعضاءهم في مجلس الاعيان . وأهمه وأعظمه ينحصر في امور :

(أحدها) قطع عروق العصبية الجنسية من مكاتب الحكومة واستئصال جذورها فاني اسمع كل يوم من أخبار هذه المكاتب مايشعر بأن فيها كماويين معنويين يحللون عناصر الوحدة العثمانية ويفرقون بعضها من بعض حتى بلغ ببعض المعلمين الجهل أو سوء القصد أن قال بعضهم في الدرس ان العرب كانوا يجهلون علم الفلك وان الترك هم الذين علموهم ذلك وهم الذين بنوا لهم المراصد ! وقال بعضهم انهم كانوا يجهلون فن الإحصاء حتى علمهم الترك إياه في زمن المأمون ! وقال بعضهم انهم كانوا يجهلون الفلسفة وجل ما كتب بالعربية في الفلسفة فهو من الترك ! افصار بعض الطلاب من العرب يترحمون على فيلسوفهم المعري ويتناشدون لاميته المشهورة . بل سمعت عن معلمي بعض المكاتب ماهو شر من ذلك وأضر وأدهى وأمر ، فيجب على نظارة المعارف أن تختار لمكاتبها من المفتشين المنصفين المهذبين من يكشف لها الحقيقة في ذلك وان تعنى أشد العناية بتطهير معاهد العلم من هذه المفسدة التي لا أرى شيئا أضر على الدولة منها

انه يسهل تقرير كل حقيقة فيها فضيلة لفرد أو أفراد من عنصر من العناصر

مع تحامي اهانة غيره لا سيما اذا كانت تلك العناصر قد وحدت بينها جنسية أخرى أوسع من جنسية النسب واللغة كما جمع الاسلام العرب والفرس والترك وغيرهم فجعلهم امة واحدة . فهل جهل أولئك المعلمون المفرقون المحللون انهم يجنون بتلك النزعات على دولتهم المؤلفة من عدة اجناس اكبرها وأعظمها عنصرا العرب والترك فاذا هما انحلا تنحل والعياذ بالله ، ويجنون أيضا على ملتهم الاسلامية ، أم هم يرمون الى ذلك ؟ ؟ وكذلك يجب أن تتيقظ سائر النظارات لمثل ذلك فقلما يخلو شيء منها من افراد متعصبين الا باب المشيخة الاسلامية

(ثانيها) العناية بتعليم اللغة العربية في مكاتبها وفي المدارس الدينية في العاصمة وغيرها فان هذا يرضي العرب عامة ويسر جميع المسلمين ولا يضر الترك ولا يضعف جنسيتهم كما انه لم يضر الفرس ولم يضعف جنسيتهم وهم اكثر عناية من الترك بهذه اللغة من حيث انها لغة الدين وليسوا بمحتاجين اليها لاجل الادارة والسياسة اذ ليس في مملكتهم ولايات عربية .

ألا ان من المحال في هذا العصر تحويل عنصر الى عنصر أصغر منه أو اكبر فالحريص على جنسيته النسبية او اللغوية في هذه الامة العثمانية يجب أن يكون امينا معلمنا عليها والطامع من الترك في تحويل أضعف عنصر من العثمانيين الى العنصر التركي وادغامه فيه انما هو طامع في المحال ، والمتوسل الى مطمعه بتعظيم قومه وتحقير غيرهم ، والتعصب لهم على سواهم ، انما يطلب الشيء من ضده أو من نقيضه ، ولولا ان كلا من امتنا ودولتنا لا يقوى على مثل هذه التجارب الاجتماعية لما كنت شديد الخوف من هذه النزعة الجنسية فيها فان من يكون له ولد عزيز هو محل رجائه في ارث مجده وماله لا يسمح باختياره أن تجرب في جسمه الادوية التي تجهل عاقبتها ، بل الادوية التي يترجح خطرها ، وسوف يعلم المجربون انهم هم الخاسرون اذا ظلوا في طريقهم يهرعون ، وأخشى أن لا يظهر خطأهم الا حيث يعز تلافيه وتداركه

(ثالثها) العناية بنشر العلوم والمعارف واسباب العمران في الولايات العربية كغيرها من الولايات من غير أدنى فرق يمكن أن يفسر بالتعصب الجنسي وأرى

أن تكثر الدولة من المدارس الصناعية والزراعية وتكتفي من المدارس التي يتخرج فيها عمال الحكومة بقدر الحاجة

(رابعها) الاخلاص التام في تنفيذ القانون الاساسي. والقيام بهذا يجمع كل مايراد من اعطاء كل عنصر حقه فان لم تفعل الحكومة هذا فانها تهيج عصبية جميع العناصر عليها حتى العرب الذين هم أشد ارتباطا بالترك واخلاصا لهم ممن سواهم وذلك هو البلاء المبين

قد استخف الدستور اهل البلاد العربية فقاموا يطرون الترك ويحثون الناس على تعظيم شأنهم والاتحاد بهم وتهافتوا على جمعية الاتحاد والترقي في كل مكان حتى ان اهل لبنان أخذوا يتحدثون بالسعي الى الغاء امتيازهم بل كتب أدباؤهم كثيرا من المقالات في وجوب اتحادهم بسائر العثمانيين، ومشاركتهم في مجلس المبعوثين، على ان بعض الاتحاديين قد شوهوا بعض تلك الاحتفالات بعيد الدستور اذ نفثوا فيها بشيء من سموم التعصب كذلك الضابط الذي خطب في حلب خطبة حقر بها العرب تحقيرا، وشهر بهم تشهيرا، ولكن اكثر الناس لم يفهموها حق الفهم، ولو ألقاها في بيروت او الشام لكان مالا خير فيه

ظهرت أريحية العرب بسورية ومصر وغيرتهم في مقاطعة النمسا في تجارتها وفي الاحتفالات بالدستور وقد ألفنا بمصر لجنة لاجل جمع الاعانات الكبيرة للاسطول العثماني وضعت لذلك قانونا ليكون جمع المال عاما ولكن تلك النبآت التعصبية التي سمعت من دار السلطنة أضعفت الهمم. فاذا طال العهد على هذا التنافر فان خسارته المالية والمعنوية تكون اول بوادر شؤمه ونعوذ بالله من أواخره

ويسرني أن أبشر العرب بانني رأيت من كبراء العاصمة ارتياحا الى حسن التفاهم وازالة اسباب التنافر ولا سيما من الصدر الاعظم حسين حلمي باشا والعلماء الاعلام فأنصح لهم أن يكونوا عونا لاخوانهم على هذا الزمان كما نصحت للآخرين «إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب»